المدرسة الحدية

خلفية تاريخية:

بعد قيام الثورة الصناعية بمائة سنة كانت هناك العديد من القضايا الاقتصادية والاجتماعية لم يتم حلها. فرغم ارتفاع الإنتاجية بشكل صاروخي كان الفقر يزداد انتشاراً والفروق الهائلة الناجمة عن سوء توزيع الدخل والثروة خلقت درجة كبيرة من عدم الرضا بالرغم من أن المستوى العام للمعيشة يرتفع. وقد كانت الدورات الاقتصادية تترك أثراً سيئاً على كثير من الناس، فالأفراد لا يستطيعون الاعتماد على قدراتهم ومبادراتهم لحل مشاكلهم كما بشرت بذلك المدرسة الكلاسيكية. كما كان للزراعة والمزارعين مشاكلهم أيضاً، فالكثير منهم تم قذفهم في المدن سعياً وراء مستوى أفضل في المدينة هرباً من الفقر في الريف. كما كانت الحوادث الصناعية تترك أثاراً مدمرة على العمال وعائلاتهم قبل الحصول على التعويض – إن كان هناك تعويض – وقد كانت ساعات العمل طويلة وظروف العمل غير ملائمة وسلطات أصحاب العمل قوية إلى حدود بعيدة. وقد بدأ ظهور المنشآت الاحتكارية. كما أن مشكلة عدم الضمان للمسنين كانت من ضمن القضايا الكثيرة التي جعلت الناس المهتمين يبحثون عن الحلول بعيداً عن الفكر الاقتصادي الضيق للكلاسيك.

وقد ظهرت في القرن التاسع عشر ثلاثة اتجاهات تهاجم الوضع القائم وتطرح الحلول للمشاكل الاجتماعية وكل هذه الاتجاهات الثلاثة صبت نقدها على المفهوم الكلاسيكي للاقتصاد، وهذه الاتجاهات هي:

١ – الاتجاه الداعي إلى الأخذ بالاشتراكية.

٢ – الاتجاه الداعي إلى دعم اتحادات العمال.

٣ – الاتجاه الداعي إلى التدخل الحكومي لإصلاح الأوضاع بتنظيم النشاط الاقتصادي، القضاء على الممارسات السيئة، وإعادة توزيع الدخل.

الحديون رفضوا الانخراط في أي من هذه الاتجاهات أو الحلول، فقد نظروا إلى الأمر نظرة تبدو محايدة واستنتجوا أنه بالرغم من أن نظرية الكلاسيك في القيمة والتوزيع ليست دقيقة، إلا أن نظرتهم للسياسة الاقتصادية كانت صحيحة.

ولذلك فهم يؤيدون نظرية أن يقوم السوق بتخصيص الموارد وكذلك توزيع الدخل ويرفضون أي تدخل حكومي ويمقتون الفكر الاشتراكي ويحاربون الاتحادات العمالية باعتبارها غير فعالة أو إنها ضارة.

الرواد الأوائل للمدرسة الحدية:

يمكن إرجاع الفضل في ظهور هذه المدرسة إلى ريكاردو في تحليله للريع والأرض الحدية:

إلى المهندس الفرنسي جول دو يوت (Jules Dupuit 1804-1866)

ثم الفرنسي أنطونيو كورنوت (A. A. Cournot 1801-1877)

ثم الألماني جون ثينين (Johann, H. V. Thunen 1783-1850)

ثم الألماني هيرمان جوسن (Herman Gossen 1810-1858)

المدرسة الحدية:

وقد ظهرت أفكار المدرسة وانتشرت بوضوح مع الأعمال التي قام بها كل:

- الإنجليزي جيفون (Jevon 1855-1885)
- النمساوي منجر (Menger 1840-1921)

وكل منهم نشر كتاباً عن نظرية المنفعة الحدية حوالي عام ١٨٧١م.

- الألماني هيرمان جوسن (Herman Gossen 1810-1858)

ويدخل البعض والراس من سويسرا ضمن هذه المجموعة توفى في سنة ١٩١٠م، ومع هؤلاء أصبحت الحدية أكثر وضوحاً وتحديداً لمدرسة جديدة في التحليل الاقتصادي والملفت للنظر أن هؤلاء قد طوروا هذه الأفكار وطرق التحليل بمعزل عن بعضهم البعض فتواردت الأفكار والخواطر ونتائج الدراسات بشكل متشابه تقريباً من مختلف الأشخاص والأماكن، وأن ما يجمعهم هو عدم قناعتهم بالنظريات الكلاسيكية القائمة في التحليل الاقتصادي آنذاك.

الجيل الثاني:

من أيرلندا فرانسيس أدجورث (١٨٤٥ – ١٩٢٦م)

من أمريكا جون بيتس كلارك (١٨٤٧ – ١٩٣٨م)

وهو أحد أساتذة فبلن مؤسس المدرسة المؤسساتية الأمريكية وقد تلقى العلم في أمريكا وفي ألمانيا مما جعل فكر المدرسة المؤسساتية يحمل بصمات المدرسة التاريخية الألمانية.

أهم المبادئ الرئيسة للحديين:

(١) التركيز على النقطة الحدية Focus on the Margin

التركيز في التحليل على نقطة التغير والتي على أساسها يتخذ القرار، فقد سحبوا المبدأ الذي طوره ريكاردو في الريع على النظرية الاقتصادية بشكل عام.

(٢) التركيز على التحليل الجزئي Microeconomic Emphasis

الشخص والمؤسسة هي مركز الاهتمام في تحليل الحديين عوضاً عن النظر إلى الاقتصاد نظرة كلية، فهم ينظرون إلى القرار الفردي وقرار المؤسسة وسوق سلعة واحدة ... وهكذا.

(٣) التأكيد على المنافسة الكاملة The Pure Competion Emphasis

ينطلق تحليلهم في العادة من افتراض المنافسة الكاملة (كل شروط المنافسة الكاملة بما فيها ممنوع الإعلان).

(٤) استخدام التجريد والمنهج الاستنتاجي The use of abstract deductive Method

يرفضون المنهج التاريخي الاستقرائي ويتخذون المنهج التحليلي التجريدي وعلى خطى ريكاردو.

(٥) نظرية الطلب هو محدد السعر Demand-Oriented Price Theory

كان الكلاسيك يؤكدون على التكاليف كمحدد للقيمة التبادلية (السعر)، ولكن الحديين خصوصاً الأوائل خرجوا عن هذا وجعلوا الطلب هو الذي يحدد القيمة التبادلية (السعر) وقد استمر هذا حتى قام مارشال (أوائل النيوكلاسيك) بإدخال التكاليف ضمن محددات القيمة فقال أن العرض

والطلب كلاهما له نفس الأهمية في تحديد القيمة (السعر) وقال بإنهما يشبهان فكي المقص ولا يمكن أن يعزى قص القماش أو الورقة لأحدهما دون الأخر.

(٦) التركيز على المنفعة الشخصية Emphasis on Subjective Utility

الطلب يعتمد على المنفعة الحدية وهي ظاهرة نفسية شخصية. فتكاليف الإنتاج تتضمن تضحيات كثيرة والمكابدة اليومية لمتطلبات العمل وإدارة النشاط في المؤسسة وكذلك تجميع المدخرات لتكوين راس المال.

(٧) طريقة التوازن Equilibrium Approach

الحديون يعتقدون أن القوى الاقتصادية تتجه بشكل عام نحو التوازن، توازن القوى المتضادة (A Balancing of Opposing Forces). أي اضطراب يحدث تغييرات، سوف يظهر تحركات تدفع باتجاه التوازن.

(٨) دمج الأرض ضمن السلع الرأسمالية Merger of land with Capital Goods

الحديون يرون دمج الأرض ورأس المال جميعاً في تحليلهم وحديثهم عن الفائدة والريع والأرباح كأنها جميعاً عائد لملكية الموارد. هذه لها فائدة تحليلية لديهم من جهة ومن جهة أخرى تحارب وتقاوم الاتجاه الذي ينظر إلى أن ريع الأرض ليس دخلاً مكتسباً ولا يجب أن يدفع لكي تستخدم الأرض، فهم قد أدمجوا ريع مالك الأرض في نظرية الفائدة.

(٩) السلوك الاقتصادي الرشيد Rational Economic behavior

يعتقد الحديون أن الناس يتصرفون بطريقة عقلانية توازن بين السعادة والأم في قياس المنفعة الحدية لمختلف السلع، موازنة الحاجة حاضراً ومستقبلاً. وهم يعتقدون أن السلوك المتعمد يعتبر عادياً وطبيعياً (رشيداً) وأن الزلات العشوائية يلغي بعضها بعضاً. وهذا النهج لدى الحديين يعود في جذوره إلى جيرمي بنثام Jeremy Bentham فهم يفترضون أن الدافع الأساسي للتصرفات البشرية هو البحث عن المنفعة وتجنب الأذى Disutility أو المنفعة السالبة Negtive Utility.

أو كما قال أبو العتاهية في العصر العباسي الأول:

(كل يحاول حيلة يرجو بها ... دفع المضرة واجتلاب المنفعة)

(١٠) أدنى حد من تدخل الحكومة Minimal Government Involvement

تبعاً لأسلافهم الكلاسيك لا يريدون تدخلاً حكومياً في الشأن الاقتصادي إلا في أضيق الحدود، وأن التدخل في القانون الطبيعي سوف يبعد عن تحقيق الفائدة الاجتماعية العظمى Maximum Social Benefits .

من الذي استفاد من الحديين أو من كانت تحاول هذه المدرسة إفادته:

الحدية حاولت تحسين وتقدم البشرية من خلال تقديم فهم أفضل لكيفية قيام السوق بتخصيص الموارد وتحرير الاقتصاد، وإلى حد كبير فقد نجحت الحدية في هذا المجال عن طريق إظهاره في مناخ تنافسي فإن العمال "حسب تحليلهم النظري" يتسلمون أجراً يساوي بين مساهمتهم وبين قيمة المنتج!!!. الحدية ساعدت في مقاومة الماركسية الداعية إلى ثورة العمال. ولكن الحدية – علم الاقتصاد للبرالية الاقتصادية والمحافظة السياسية –

أفادت أيضاً أولئك الذين مصالحهم كانت فقط الحفاظ على الوضع القائم أي: أولئك الذين يقاومون التغير، وهذا النوع من النظريات يفيد أرباب العمل (رغم أن معظمهم لا يفهمها) وذلك عن طريق معارضتها لاتحادات العمال وكذلك عن طريق القول بأن الأجور هي السبب في البطالة لأنها مرتفعة وغير مرنة هبوطاً. الحدية أفادت أيضاً ملاك الأراضي ضد الهجوم المبني على تحليل ريكاردو للريع. هذه المدرسة يمكن القول بأنها نفعت الأغنياء الذين يعارضون تدخل الحكومة التي ربما تقوم بإعادة توزيع الدخل.

الكلاسيك الجدد Neoclassical School

التحليل الجزئي للحديين تحول تدريجياً إلى ما نسميه اليوم الكلاسيكية الجديدة وبما أن Neo تعني New فإن Neoclassieism تعني صيغة جديدة للكلاسيك. فالكلاسيك الجدد هم الحديون من حيث المبدأ حيث أنهم ركزوا على أن مسألة اتخاذ القرار وتحديد السعر عند الحد (نقطة التغير).

ولكن هناك ثلاث فروق بين أوائل الحديين والكلاسيك الجدد هي:

١ – الكلاسيكيون الجدد أكدوا على أن الطلب والعرض يشتركان في تحديد أسعار السوق للسلع والخدمات والموارد (مارشال) بينما الحديون الأوائل أكدوا على الطلب فقط.

٢ – الكلاسيكيون الجدد أبدوا اهتماماً أكبر بدور النقود في الاقتصاد بخلاف الحديين الأوائل خصوصاً ويكسل وفيشر.

٣ – الكلاسيكيون الجدد سحبوا التحليل الحدي على هيكل السوق والمنافسة والاحتكار المطلق وغيرها.

وهذا بعض أسماء أوائل الكلاسيكيون الجدد:

- من بريطانيا مارشال (Marshall 1848 – 1924)
- من بريطانيا هاوترين (Hawtrer 1879 – 1975)
- من السويد ويكسل (Wicksell 1851 – 1926)
- من إيطاليا شرافا (Sraffa 1898 – 1983)
- من بريطانيا روبنسون (J. Robinson 1903 – 1983)

ويعتبر خط الكلاسيك الجدد هو السائد بصورة عامة في التحليل الاقتصادي إلى يومنا هذا مع ملاحظة أن الثورة الكينزية جاءت من رحم الكلاسيكيون الجدد وجاء النقوديون الجدد وثاروا على الكينزية وهكذا، وكلهم يعتبرون من الكلاسيكيين الجدد.